قال علي بن زيد بن جدعان : كنت في دار الإمارة والحجاج يعرض الناس أيام ابن الأشعث فدخل أنس بن مالك فلما دنا من الحجاج قال الحجاج : يا خبثة ! .

جوال في الفتن مرةً مع علي ابن أبي طالب ومرةً مع ابن الزبير ومرةً مع ابن الأشعث ! .

وا لأستأصلنك كما تستأصل الصمغة ولأجردنك كما يجرد الضب ! .

فقال له أنس : من يعني الأمير أصلحه ا ؟ قال : إياك أعني أصم ا سمعك ! .

فاسترجع أنس وشغل عنه فخرج أنس وتبعته وقلت : ما منعك أن تجيبه ؟ فقال : وا لولا أني ذكرت كثرة ولدي وخشيته عليهم لأسمعته في مقامي هذا ما لا يستحسن لأحدٍ بعدي ! .

وكتب إلى عبد الملك : بسم ا الرحمن الرحيم لعبد الملك أمير المؤمنين من أنس بن مالك خادم رسول ا A وصاحبه . أما بعد فإن الحجاج قال لي هجراً من القول وأسمعني نكراً ولم أكن لما قال أهلاً إنه قال لي كذا وكذا وإني أقسمت بخدمتي لرسول ا A عشر سنين كوامل : لولا صبية صغار ما باليت أية قتلةٍ قتلت وا لو أن اليهود والنصارى أدركوا رجلاً خدم نبيهم لأكرموه ! .

فخذ لي على يده وأعني عليه والسلام ! .

فلما قرأ عبد الملك الكتاب استشاط غضباً وكتب على الحجاج : أما بعد فإنك عبد من ثقيف طمحت بك الأمور فعلوت فيها وطغيت حتى عدوت قدرك وتجاوزت طورك يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب . لأغمزنك غمز الليث ولأخبطنك خبطةً ولأركضنك ركضةً تود معها لو أنك رجعت في مخرجك من وجار أمك . أنا تذكر حال آبائك ومكاسبهم بالطائف وحفرهم الآبار بأيديهم ونقلهم الحجارة على ظهورهم ؟ أم نسيت أجدادك في اللؤم والدناءة وخساسة الأصل ؟ وقد بلغ أمير المؤمنين ما كان منك إلى أبي حمزة أنس بن مالك خادم رسول ا A فعليك لعنة ا من عبدٍ أخفش العينين أصك الرجلين ممسوح الجاعرتين لقد هممتُ أن أبعث إليك من يسحبك ظهراً لبطن حتى يأتي بك أبا حمزة أو انتهكت له عرضاً غير ما كتب به إليه لفعل ذلك بك . فإذا قرأت كتابي هذا فكن له أطوع من نعله واعرف حقه وأكرمه وأهله ولا تقصرن في شيء من حوائجه فو ا لو أن اليهود رأت رجلاً خدم العزير أو النصارى رجلاً خدم المسيح لو قروه وعظموه . فتباً لك ! .

لقد اجترأت ونسيت العهد وإياك أن يبلغني عنك خلاف ذلك فأبعث إليك من يضربك بطناً لظهر ويهتك سترك ويشمت بك عدوك ! .

والقه في منزله متنصلاً إليه ليكتب إلي برضاه عنك ! .

" ولكلّ ِ نبإٍ مستقرّ ٌ وسوف تعلمون " . وكتب عبد الملك إلى أنس : لأبي حمزة أنس بن مالك خادم رسول ا A . متن عبد الملك سلام عليك ! .

أما بعد فإني قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت في أمر الحجاج وإني وا ما سلطته عليك ولا على أمثالك . وقد كتبت إليه ما يبلغك فإن عاد لمثلها فعرفني حتى أحل به عقوبتي وأذله بسطوتي والسلام عليك !